قراءة نظرية للاتجاهات المفسرة للحياة الحضرية في المدينة

د. مصطفى محمد البحباح

تمهيد:

تعد الاتجاهات النظرية في نظر الكثير من الباحثين المختصين أنها ليست مجرّد تغير وتبدل عشوائي في المفاهيم والمتغيرات عند دراسة النموّ الحضري والتحضّر، ولا تعتمد على مجرّد وصف الظواهر المصاحبة لهما والناجمة عنهما. بل طورت لتفسير العوامل المؤثرة في حياة المدن وفي أحجامها وأعدادها، وفي الكيفيّة التي تتوزع بها المراكز الحضريّة .

ولكن مازال علم الاجتماع الحضري يفتقد إلى التكامل النظري، وربما يرجع ذلك إلى أن ظروف نشأة هذا العلم ارتبطت بظروف اتساع نطاق المدن وتطورها. ولعل هذا يفسر تعدد الاتجاهات النظرية التي قد تنتمي إلى علم الاجتماع الحضري ، وهي في الواقع تنتمي إلى فروع أخرى من المعرفة كالجغرافيا والأيكولوجيا وعلم النفس والسياسة والاقتصاد وغيرها.

ولتعدد الاتجاهات النظرية في دراسة المدينة، فتم تناول البعض من هذه الاتجاهات بالإيجاز في كيفية تحليل ظاهرة المدينة والتنظيم الاجتماعي الذى يقوم على الحياة الحضرية،ومن هذه الاتجاهات النظرية- الاتجاه التاريخي، والاتجاه الديموجرافي، والاتجاه التنظيمي، والاتجاه الايكولوجي، واتجاه القيم الثقافية، والاتجاه التكنولوجي، واتجاه القوة "السلطة كمتغير أساسي".إذ تشكل المدينة أنماطا مكانية واجتماعية متميزة ومنتظمة ويمكن ملاحظتها وتحديدها وقياسها بسهولة ويسر فهي ليست مجرد تكدس عشوائي للمنشئات والمباني، بل أن هناك تنظيماً مكانياً واضحاً ومتميزاً للأنشطة الحضرية المتنوعة ولا ينشأ الاختلاف بين أجزاء المدينة عن الاعتبارات والظروف الجغرافية والطبيعية وحدها، بل ترجع إلى اعتبارات اجتماعية وثقافية، تجعل لكل جزء من المكان أو الموقع الحضري تقييماً مختلفاً ووظيفة متخصصة.

موضوع البحث:

يتجه هذا البحث لقراءة الاتجاهات النظرية وكيفية الاستفادة منها في تحليل الحياة الحضرية في المدينة كظاهرة اجتماعية. تلك الاتجاهات التي تختلف في بنائها على عاملين أساسيين: أولهما مجال الاهتمام- وثانيهما طبيعة المتغيرات التي يتم طرحها لتفسر الحياة الحضرية بالمدينة، حيث يوجد التنوع الثقافي والفكري والديني. إذ من الأهمية أن ترتبط صياغة إي مشكلة بحثية عند دراسة الحياة الاجتماعية بالمدينة بالرجوع إلى دراسة الإطار النظري الأكثر شمولاً. ذلك من شأنه أن يساعد في تحديد موضوع الدراسة ونطاقه وعلاقته بميدان المعرفة المتراكمة، وكذلك يساعد في تحديد فروض الدراسة والمفاهيم التي تعكس مستوى التحليل وأبعاده في حالة تطويع الاتجاهات النظرية بشكل إيجابي في تحليل المؤشرات الحضرية. ومماسبق يسعى هذا البحث للإجابة عن التساؤل التالي:- كيف يمكن الاستفادة من الاتجاها النظرية في معالجة قضايا التحضر ومشكلات الحياة الحضرية من خلال الطرح المتنوع في الاتجاهات الفكرية للعلماء والمفكرين لتحقيق التطور والنمو الحضري للتنظيمات الاجتماعية في اطار المدينة؟

أهداف البحث:

أ- توضيح دور الاتجاهات النظرية في إعطاء لمحة عن التغيرات البيئية للمناطق الحضرية وعلاقتها بالخصائص الاجتماعية والاقتصادية للسكان في المجتمع.

ب- إبراز الآراء والتصورات النظرية حتى يسهل توظيفها للباحثين والدارسين والمهتمين بالدراسات الحضرية.

ج- معرفة التباين الذي يحدث في البناء الاجتماعي للمدينة من خلال المقارنة بين المدن في ضوء المداخل النظرية المختلفة.

أهمية البحث:

أ- المساهمة في إثراء التراث السوسيولوجي بوجه عام في كونه محاولة لمعرفة الاتجاهات النظرية التي يستطيع الباحثين من خلالها

تفسير التنظيم الاجتماعي في المدينة والتعرف على التغيرات الايكولوجية، وعلاقتها بمظاهر التحضر الذي يضرب كل جوانب البناء الاجتماعي في المدينة.

ب- المساهمة في إثراء المكتبة الجامعية حيث تضاف إلى البحوث والدراسات السابقة التي تناولت بصورة أو بأخرى مدى امكانية تحليل الحياة الحضرية من عدة اتجاهات نظرية والتعرف على الايكولوجيا الحضرية وعلاقتها بعلم الاجتماع الحضري على وجه الخصوص، فهي تشكل مبحثاً استراتيجياً باعتبارها مدخلاً موضوعياً يكمن في رسم وتحديد طبيعة العلاقات القائمة في البناء الاجتماعي الحضري.

المفاهيم والمصطلحات

1:المفهوم اللغوي للمدينة:

أن إبراز المفهوم اللغوي للمدينة يحدد خصائصها لأنها إشارة إلى الاستقرار والاقامة الدائمة في المكان، ويعد من الضروري أن يتناول الباحث مفهوم المدينة بوصفه المفهوم الذي يركز عليه البحث " فالمدينة في المعاجم اللغوية: يرجع أصلها إلى مدن، وأن معنى مدن بالمكان: أقام به، ومعنى مدن المدائن أي مصّرها، ومنه سميت المدينة، وهي فَعِلةُ، وتجمع على مدائن بالهمزة، وتجمع أيضاً على مُدْنٍ ومدْنٍ، بالتخفيف والتنقل، وفيه قول أخر: أنها مفعلةٌ من دنتُ، أي مَلَكْتُ".

وقد وردت كلمة المدينة في القرآن الكريم لتؤكد مفهومها التمدني في قوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُواْ بَيْنَهُم قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُم كَم لَبِثتمّ قَالُواْ لَبِثنَا يَومّا أَو بَعضَ يَومٍ قَالُواْ رَبُّكُم أَعلَمُ بِمَا لَبِثتُم فَابعَثُواْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُم هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ فَليَنُظر أَيُّهَا أَزكَى طَعَاماً فَليَأتِكُم بِرِزقٍ مِّنهُ وَليَتَلَطَّف وَلا يُشعِرَنَّ بِكُم أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف، الآية 19).

والتعريف الاجرائي للمدينة على هذا الأساس – أنها تمثل سوقاً أو مركزاً اقتصادياً ثابتاً حيث التبادل النقدي هو أساس التعامل التجاري.

2- المفهوم الجمالي للمدينة

يمكن أن نتعرف على المدينة من مظهرها العام إذ أنها قمة التطور الحضاري، وتنضح بصمات هذا التطور في مبانيها العامة، وشوارعها، ومصانعها، إلا أن هذا التعريف غير كافي حيث أن هناك كثير من القرى ذات التخطيط الهندسي الحديث لا يختلف في مظهرها عن كثير من المدن(غيث وآخرون، 1989: 160).

ويرى (عباس، 1986: 48،49).أن التخطيط العمراني في المدينة كما قدمه والتر بورWalter Bor، بقوله: المدينة هي مكان يعيش فيه الناس ويعملون و يمارسون هواياتهم الرياضية، وحيث يوجد بالمدينة ألمساكن وأماكن العمل، والمحلات التجارية، والمدارس والمسارح، و كافة وسائل الاتصال الكبرى كما يشعر الناس أنهم يعيشون حياة كاملة بداخل المدينة، وهذا التعريف ينظر إلى المدينة باعتبارها قطعة هندسية مثالية تتكامل فيها كل نواحي الحياة التي يراها مناسبة وضرورية لإقامة الحياة الحضرية بداخل المدينة .

3- المفهوم الاجتماعي للمدينة

المدينة بالنسبة لعالم الاجتماع عبارة عن: مجموعة من الممارسات، والعادات المشتركة، والمشاعر العاطفية، والاتجاهات والتقاليد التي تنمو خلال عدة أجيال من الحياة لتصبح خاصية مميزة لوحدة ثقافية نموذجية، وفي داخل هذا الكيان الكبير الذي يعُرف بالمدينة، يرى عالم الاجتماع العدد الأكبر من تجمعات الناس والناطق كنتاج لعملية النمو والتوطن والتصنيف، كما يرى أن لكل منطقة من هذه المناطق ذات طابع خاص ومميز ينتج بدوره نموذجا خاصا من السكان، وأنه يرى العدد الكبير من الجماعات المهنية والثقافية تتميز عن بعضها لبعض باهتماماتها ومصالحها.

ويرى شوقي (1981: 129) أن الكثير من الاجتماعيين اتفقوا على أن المدينة هي تجمعات سكانية غير متجانسة تعيش على قطعة أرض محدودة نسبيا، ويضيف البعض إلي ذلك أن هذه الوحدة السكانية تمتاز باعتمادها على الصناعة أو التجارة أوكليهما كما تمتاز بالتخصص وأتباع النظام السياسي والاجتماعي.

وهذا التعريف لا يمكن أن ينطبق على جميع المدن، ولا يتصف بالشمولية، ولكنه قريب من الخصوصية للمدن التي تنتمي لدول متقاربة اقتصاديا، ولا ينطبق على المدن التي تختلف دولها اقتصاديا.

بينما يرى رشوان (1985: 45) تعريف آخر للمدينة وهو أنها تعتبر ظاهر اجتماعية، فهي أكثر من مجرد جزء من أجزاء المجتمع وهي تشمل حقيقة اجتماعية، وتعد تعبيرا عن الممارسات الجمعية للسكان الذين يعيشون ويعملون معاً، ففي المدينة يتجلى ارتباطات الناس بعضهم ببعض، وتبدي العلاقات المتبادلة، والإنجازات الحضرية، وفي المدينة تظهر المشاكل الحضرية .

4- مفهوم التحضر Urbanization

التحضر مفهـــــــــــــــــــــــــوم ديناميكي "حركي" يشير إلى عملية تحويل المناطق الريفية إلى مناطق حضرية وتؤثر هذه العملية تأثيراً قوياً في التركيب الاقتصادي للسكان، إذ ينخفض عدد السكان الريفيين ويزداد عدد السكان الحضريين أي يقل عدد الأفراد الذين يشتغلون بالمهن الزراعية ويزيد عدد الذين يشتغلون بالمهن غير الزراعية(بدوي، 1982: 436).

ويعرف احتيوش (1994: 28) التحضر بأنه نمط الحياة وليس عملية تكوّنها، فهو يشير إلى جوانب السلوك في الحياة الحضرية، أي يشير إلى أساليب الحياة الخاصة التي هي من خصائص العيش في المدينة، ونجد في إطار هذا المفهوم بحوثا تركز اهتمامها على الجوانب النفسية والاجتماعية للحياة الحضرية، وتلقي الضوء على الشخصية الحضرية وأنواع التكيّفات السلوكية التي تتطلبها حياة المدينة.

5- مفهوم الحضريةUrbanism

تشير الحضرية إلى طريقة الحياة المميزة لأهل المدن الذين يتبعون عادة أسلوبا أو نمطا معينا في حياتهم وهو أمر يتعلق بالســـلوك اليومي (الزوي،31:2002).

ويؤكد(ناصف،2013: 22) في كتابه أن لويس ويرث أول من صاغ تعريفا من صاغ تعريفا للحضرية في مقـــاه الشـــهير الحضرية كأسلوب للحياة ، والذي ناقش فيه عددا من المحاور والموضوعات والخصائص التي تميز المدينة عن القرية .

ويرى (الزوي،2002: 31)خلاصة القول أن الحضرية تعني اسلوبا أو نمطا للحياة، والتحضر يعني التركيز السكاني الـــذي يحصل نتيجة قرار شخص بالانتقال أو التحرك من منطقة لأخرى(أي الهجرة من الريف إلى المدينة).

المنهج المستخدم:

استخدم الباحث المنهج التحليلي الذي ينتمي للبحوث الكيفية، وذلك لتحليل الاتجاهات النظرية في دراسة الحياة الحضـــرية في المدينة بوصفها ظاهرة اجتماعية.

الاتجاهات النظرية لتحليل المدينة كظاهرة اجتماعية

ينظر للمدينة من زوايا عدة وفق نظريات وأفكار قدمت وأبرزت في تحليلها وتحديد خصائصها، وسماتهـــا كوحـــدات وبنـــاء اجتماعي، وموروث ثقافي، ومن أهم هذه الاتجاهات:-

1- الاتجاه التاريخي

تعـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــد عمليات النمو الحضري من العمليات الحديثة نسبيا في التـــاريخ الإنســـاني بالمقارنة بالعمليات الاجتماعية والمجتمعية الأخرى، ورغم عمرها القصير نسبيا إلا أنّها ذات تأثير فعال في كل مظاهر الوجـــود الإنســـاني حيث تمثل واقعا امبريقيا حيا ومستمرا، و هـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــذه العمليات تراكمية ومعقدة ترتبط فيها العوامل بالظاهرة والنتائج ارتباطا وثيقا، يصعب معه التميز بينها في فترات تاريخية ذات تحديد واضح ودقيق(غيث وأخـــرون،1989 : 250).

ورغم حداثة ظاهرة التحضر في التاريخ الإنساني، إلا أن المنظرين الاجتماعيين الأوائل يعتبرون التاريخ هو أســـاس أي فهـــم اجتماعي حقيقي، حيث كانت أعظم كتابات "أوجيست كونت Conte" تدخل في نطاق فلسفة التاريخ، وقد حاول تحديد اتجاهات الماضي فقسمها إلى ثلاثة عصور، عصر الدين، وعصر الميتافيزيقيا وعصر العلم، ويرى كونت أن التاريخ الاجتماعي لا ينفصل عما أطلق عليه في ذلك الوقت ولأول مرة "علم الاجتماع" كما اعتمد "ماركس" في تحليلاته على أمثلة تاريخية وفيرة في مؤلفه "راس المال".

وقد أكد "هربرت سبنسر Spencer " في تحليله لعملية التطور الاجتماعي بشواهد تاريخية تعبر عن مصر القديمة واليونان القديمة وروسيا خلال حكم بطرس الأكبر(الحسيني، 1985: 35).لذلك يمكننا القول بأنه لا يمكن أن نفصل الماضي عـــن الحاضـــر في دراستنا للنمو الحضري في أي مجتمع كما أنّه يجب تتبع النمو منذ بدايته، وعدم إغفال العوامل التي ساعدت على ظهوره في المدن، لذلك أكدت كتابات "لويس ممفورد" على أهميّة الدراسة التاريخية التحليلية للمدن ونشأتها ونموها في علم الاجتماع الحضـــري ، كمـــا انتقـــد "جلاس" الاتجاهات التي تركز على الاهتمام بالتعارض القائم بين الريف والحضر، وذهب إلى أن الاتجاه الأكثـــر ايجابيـــة في الدراســـات الحضرية هو الذي يهتم بتحديد أنماط التحضر حديثا وقديما(الجولاني، 1984: 21).

وقد اهتم أصحاب الاتجاه التاريخي بتحديد القنوات التاريخية التي يرتبط بها النمو الحضري في المـــدن، مثـــال ذلـــك تحديـــد "يوسكوف" للفترات التاريخية لعملية النمو الحضري تلك التي تغيرت بها مدن العالم، و ذلك بتتبع الأشكال التاريخية التي ظهرت في العالم

منذ فترة تمتد إلى ما قبل الميلاد وتصل إلى العصر الحديث.

كذلك قام "ايريك لمبارد E. Lampard " بتوضيح أشكال النمو الحضري العالمي التي قسمها إلى أربعة أشكال هي:

1- التحضر البدائي PrimordialUrbanizationحيث يحاول التكيف مع البيئتين الفيزيقيتين والاجتماعية .

2- التحضر المميز Definitive Urbanization حدد فيه وظائف المدن وخصائصها وكذلك المشكلات التي تتعرض لها المدن منذ ظهورها.

3- التحضر الكلاسيكيClassic Urbanization حيث تظهر ملامح الاستقرار الحضري في هذا الشكل مما يؤدى بدوره إلى ظهور قيود حول نمو المدن ومكانها، كذلك يتميز هذا الشكل العاصمي بظهور الدولة المدينة The City State.

4- التحضر الصناعي: Industrial Urbanization وقد اتضح هذا الشكل في بدايات القرن العشرين، وتميّز بالهجرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، والاستقرار بها بهدف العمل بالمجال الصناعي لتحقيق مستوى معيشي أعلى، وقد ارتبط بهذا الشكل العديد من الظواهر التي ترتبت على تركيز العمال بالمدن وارتباطهم بالعمل مثل: الغياب و المسكن وقضاء وقت الفراغ والانحراف وغيره. (الكردي،2000 :59).

بالإضافة إلى تأكيد أصحاب هذا الاتجاه على الدراسات التاريخية المقارنة التي تعطى فترة تاريخية معينة، وتشمل تجربة كل مجتمع على حدة، يدعم ذلك تأكيد "رايت ميلز" أن المعرفة بالاطوار والأساليب التاريخية وراء المعدلات المتفاوتة والاتجاهات المختلفة للتطور الاجتماعي كذلك يرى "رايت ميلر" أن الرؤية التاريخية تؤدى إلى قيام الدراسات المقارنة للمجتمعات، وذلك لفهم وتفسير الأطوار الرئيسية التي تمر بها هذه المجتمعات، من خلال تفاعل الواقع التاريخي مع ما يحدث من تطور في المجتمعات الأخرى، ويؤكد أنّه لا يمكن صياغة المشاكل التاريخية والسوسيولوجية للبناء الاجتماعي الواحد دون فهمها في إطار عملية مقابلة ومقارنة بالمجتمعات الأخرى(الرميحي، 1994: 20).

2: الاتجاه الديموغرافي "السكاني"

يهتم الاتجاه الديموغرافي بالدراسة العلمية للسكان، وتحديدا حجم السكان وتوزيعهم، وما يطرأ على هذا الحجم والتوزيع من تغير في وصفات السكان، ومدى اختلافها بين مجتمع وآخر، وأثر كل ذلك على السكان.

وقد نال الاهتمام بالسكان، وبالكثافة الاجتماعية الناتجة عن تفاعلهم، اهتماما كبيراً في الفكر السوسيولوجي ، ابتداءً من "منتسكو" الذي منح أهمّية كبرى لعدد السكان في تشكيل النظام الاجتماعي، ثم استعار بعد ذلك "دوركايم" هذا الدور حيث يؤكد على حجم وكثافة السكان كعنصر أساسي ينتهك التوازن حيثما يتزايد ويدفع النسق بالناس إلى البحث عن حالة جديدة متوازنة. ويذهب دوركايم إلى أن الكثافة السكانية تتزايد بأحد عاملين:الأول- يتمثل في اتحاد الجماعات في جماعات أكبر، إذ يؤدى إلى نوع من التكيف المكاني. والثاني- يكمن في الزيادة التي تعزى إلى نسبة المواليد، وهى نسبة تحليلية للكائن العضوي ذاته، وأن قيام المدن نتاج لتغيرات بنائية، كهجرة السكان، وتمركزهم في مناطق معينة واحترافهم حرفًا جديدة، وأن الكثافة السكانية تؤدى إلى التحول من حالة التجانس في أداء العمل إلى حالة التخصص، وتقسيم العمل، ويرى أيضاً أن الكثافة الاجتماعية تتوالد عن الكثافة السكانية(الرميحي،1994 : 5)

فالخصائص السكانية يمكن تحديدها في تركيب السكان من حيث النوع والجنس والعمر والحالة الزواجية، والحالة التعليمية والحالة المهنية ومتوسط الدخل ..الخ. فهى تؤكد نوعية السكان طبقا لمجموعة من المتغيرات التي يختلف حيالها السكان ويتباينون، وتساعد هذه المتغيرات ضمنا على تحديد البناء الاجتماعي لهؤلاء السكان و ذلك من خلال التركيب الطبقي الذي ينتمون إليه(الكردى،2000 :56). كما أن الخصائص السكانية مثل معدلات المواليد والوفيات والزيادة والكثافة وحركة السكان الداخلية والخارجية والخصائص العرقية و الثقافية تزود الباحث بمعلومات قيمة تساعد على ربط حاجات الأعداد المتزايدة من السكان بالخطط المشروعة المتصلة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية، واستثمار هذه الموارد والكفاءات البشرية والقوى العاملة، وإذا كانت هذه الخصائص تعد إطاراً مناسباً لدراسة ديموغرافية المدينة فإنّ هذه الخصائص لا ينبغي أن تتم دراستها في حدود مجتمع حضري له مقوماته وأنشطته الخاصة ومشكلاته النوعية.(أبوعياش وآخرون، :129).

إن الكثير من الدراسات الحضرية قد اعتمدت مباشرا على هذا الاتجاه وبخاصة أولئك الديموغرافيون المهتمون بوسائل التحضر، حيث أن عناصره تتصل مباشرة بسكان الحضر، ويرى الاتجاه الديموغرافي demographic أن التركيز في دراسة التحضر ينبغي أن يتبلور في عملية تركز السكان في مكان معين، فالسكان والمكان هما

الموضوعان الرئيسيان في هذا الاتجاه، ومن خلالهما تتشكل الأنماط السلوكية لساكني المدينة، وتصاغ الأبنية المهنية لهؤلاء وبخاصة الصناعية منها، ويؤكد هذا الاتجاه على أن القول بخصوصية السلوك الحضـــــــــــــــــــــــــــــري وطبيعة النسق البنائي المتميـــز بالمجتمع الحضري لهما مسالتان من قبل الحكم المسبق(الكردي، 2000: 180).

فالأمر يتطلب الوقوف أولاً على البناء السكاني لهذا المجتمع وعلاقة هؤلاء السكان بالمكان الذي يقطنون به، ويهتم هذا الاتجاه بالبحث عن المؤشرات السكانية، فهي مجال تركيزه فالزيادة الطبيعية للسكان "مواليد ووفيات" والأخرى غير الطبيعية كالهجرة من مكان وإليه، وكل ما يتصل بالحجم هي أول المؤشرات التي يسعى إليها هذا الاتجاه، غير أنَّه لا يكتفي بذلك وإنَّما يضـــيف إليهـــا المؤشـــرات الأخرى المتصلة بخصائص السكان حيث أنَّها تكشف عن نوعياتهم.

وقد ذهبت "هوب تيسدالH. Tisdale " في تحليلها للتحضر كعملية إلى أن التركيز السكاني يستند على عنصرين همـــا: تعدد نقاط التركيز من ناحية وزيادة حجم المراكز الفردية من ناحية أخرى، ومن ثم فإنَّ تزايد السكان المقيمين في مناطق حضرية يصـــبح مؤشرا إحصائياً دقيقا – في نظرها – لقياس عملية التحضر – والنمو الحضري، كذلك حددت البعثة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصـــى عملية التحضر في أنَّها "عملية يميل فيها السكان إلى التكتل في تجمعات أكبر من أن تكون ذات حجم محدود"(السيد،1992 :126).

وناقش "ميكلينMclien" نظرية التحول الديموغرافي في ضوء التحضر وانخفاض نسبة الخصوبة وذهـــب إلى أن انخفـــاض الخصوبة تتجلى في المناطق الصناعية الحضرية ثم ينتشر بعد ذلك إلى المناطق الريفية، وتضمنت نظريته وحدة معقدة من العوامل الاجتماعية والسيكولوجية والثقافية والاقتصادية والديموغرافية. ويؤخذ على "ميكلين" أنَّه اغفل ذكر الشروط والعمليات الحضرية الـــتي تـــؤدى إلى انخفاض نسبة الخصوبة . (رشوان، 1987 : 63).

ويتفقالكردي (2000: 46) مع هذا الرأي الذي يأخذ على أن الاتجاه الديموغرافي به قصورا واضحا في إبراز الخصـــائص المميزة لعملية التحضر. و لم يخلُ الإتجاه الديموغرافي الاحصائي في دراسة المدينة من التعرض لأوجه النقد حتى من بين رواده وباحثيه فقـــد اكتشفوا أن أبحاثهم ودراساتهم رغم جودتها أكاديميا، لم يتمكن المخططون ومتخذوا القرار من الإستفادة منها في الجوانب التطبيقية ســـعيا وراء التوصل إلى حلول عملية لمشكلات التحضر والحياة الحضريةبالمدينة.

3: الاتجاه التنظيمي" المدينة كمتغير مستقل"

يعد الاتجاه التنظيمي من الاتجاهات النظرية الهامة في الدراسات الحضرية التي أكدت على مفهوم المدينة وبلورتـــه كمتغير أساسي ونقطة انطلاق رئيسية لفهم المدينة ونمط الحياة الحضرية فيها، وذلك قد تمثل بوضوح في أعمال مدرسة شيكاغو وبخاصـــة "روبرت بارك" Park ولويس ويرث Wirth وروبرت رد فيلد Redfield وآخرون من بعدهم، ولقد انطوت محاولاتهم في تفسير الحياة الحضرية على عدد من الصعوبات فتفسيراتهم التي تعتمد على المفاهيم الايكولوجية لم تكن مرتبطة تماما بمجهوداتهم في تقسيم النشاط الاجتماعي ذلك أن معظم الكتاب الذين تأثروا "بروبرت بارك" قد درسوا الايكولوجيا البشرية داخل ما يمكن أن يطلق عليه بأنه "إطـــار حيوي" Biotic وعلى الرغم من أن أصحاب هذه المدرسة قد قـــدموا تفســـيرات مختلفـــة، إلا أن النظريـــة ذاتهـــا قـــد اســـتبعدت المظـــــــــــــــــاهر الاجتماعية للعـــــــــــــــــــــــلاقات الإنسانية المتبادلة باعتبارها ميكانزما لتفسير الأنماط الأيكولوجية، في الوقت الذي أكدت قوى معينة مثل المنافسة غير الشخصية والبيئة الطبيعية.(السيد، 1992 :291).

وينظر هذا الاتجاه إلى المدينة باعتبارها شكلا فريدا من النسق الاجتماعي أو التنظيم الذي يشتمل على تطوير وسائل الاتصال والميكانزمات الاجتماعية و السياسية، بما يسمح انتقال المجتمع من الشكل البسيط إلى صورة أكثر تعقيدا، فالتحضر معناه تراكم التطـــور والتعقد النظامي.

ويشمل ذلك التعقيد النظامي تاريخيا على تطور الحكومات المركزية، وتطوير الأسواق المحلية والإقليمية والعالميـــة، وانتشـــار الأشكال المختلفة للتنظيمات الرسمية وغير الرسمية، كالنقابات واتحادات العمال وروابط أصحاب العمل...الخ، فضلا عن التي لحقت ببناء وحدات التنظيم القائمة ووظائفها كالأسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية، وانساق المكانة الجتماعية، والتدرج الطبقي، والتكامل المعياري وبناء القوة وطبيعة الضبط الاجتماعي والبيروقراطية(الحسيني، 1985 :209).

ويتمثل هذا الاتجاه في نظرية "لويس وبرت" فقد أكد أهمّية وجود نظرية تقسم عملية التحضر في مقالته الشـــهيرة عن "الحضرية كأسلوب في الحياة Urbanism a way of life" والتي نشرت في عام 1938م في المجلـــة الأمريكيـــة لعلـــم

الاجتماع، و هذه النظرية تفيد الباحثين المهتمين بعمليات التحضر، والمجتمعات الحضرية الصناعية وبرامج التنمية العامة في المجتمع(أبو زيد، 1996 :218).

ويرى "ويرث" أن أشكال الفعل الاجتماعي والتنظيم في المدينة يحتاج إلى الحجم الكبير والكثافة واللاتجانس فكلما نما حجم المدينة فإنَّ هذا يؤدى إلى احتمال تعرضها للامتداد خارج حدودها التقليدية مما يستحيل معه اجتماع سكانها في مكان واحد ويقل احتمال معرفة الفرد لسكان المدينة معرفة شخصية، وهذا بفرض إيجاد وسائل أخرى للاتصال سواء لنقل الأخبار والآراء أو لإصدار القرارات غير تلك الوسائل التي عرفها المجتمع التقليدي الذي يعتمد على الاتصال المباشر ومعنى هذا أن "ويرت" يشير إلى الدور الذي تؤديه وسائل الاتصال الحديثة.

وفيما يرى "ويرث" فكلما زاد عدد السكان وارتفعت معدلات كثافتهم وعظم تباينهم عبر ذلك عن المظاهر الحضرية تلك، تتمثل في ضعف الروابط القرابية، واختفاء روابط الجيرة، وانهيار الأسس التقليدية للتماسك الاجتماعي وتصبح العلاقات الاجتماعية علاقات غير شخصية، وانتقالية ومؤقتة، وعابرة وجزئية، مما يؤدى إلى أفول العلاقات الأولية ليحل محلها العلاقات الثانوية، ويحل الضبط الرسمي محل روابط التضامن.

أمَّا متغير "اللاتجانس" فقد كان في ذاته نتيجة ترتيب على متغير "الحجم" و "الكثافة" وهو يؤدى إلى سلسلة من الظروف الاجتماعية. لعل من أهمها نسق أكثر تعقيدا للتدرج الطبقي، وزيادة معدلات الحراك بأشكاله الفيزيقية، والاجتماعية وتكوين شخصية عالمية كوزموبوليتية. وفي الاتجاه المضاد، قد يؤدى التمايز إلى نوع من الجمود يسيطر على حياة المدينة مما يعمل وجود نسق للتفاعل الاجتماعي يتميز بعلاقات غير شخصية، كما أن تنوع النشاطات والبيئات الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع الحضري من شانه أن يؤدى إلى قدر لا يستهان به من تفكك الشخصية وزيادة معدلات الجريمة والانتحار والمرض العقلي كما أشار "روبرت" إلى أن المتغيرات التي ترتبط بالتحضر قابلة للانتشار إلى خارج المدينة (رشوان،1987 :51-53).

وبتعبير آخر يرى " لويس ويرث" أن الحضرية ترتبط بالمعيشة في المدينة ولها نفس الصفات التي تتصف بها المدينة ، ولها دور كبير في الحياة الحضرية ذاتها وهى:

1- حجم سكان المدينة المتزايد .

2- الكثافة السكانية العالية .

3- اللا تجانس بين السكان .

وفي ضوء هذه الخصائص يشير"ويرث" بأن المدينة: موطن دائم يتميز بكبر الحجم والكثافة لأفراد غير متجانسين اجتماعيا. وهذه الخصائص تؤدى إلى قضايا يجب مراعاتها عند دراسة تحليل حياة المدينة أو الحياة الحضرية عموما ومن أهم هذه العوامل:

1- أن نمو المدينة وتباين سكانها يؤدى إلى الروابط السطحية الضعيفة بين سكانها

2- أن الزيادة في نمو حجم المدينة يؤدى إلى عدم معرفة الفرد ببقية سكانها معرفة شخصية مباشرة.

3- أن الزيادة في حجم المدينة قد يؤدى إلى امتداد أطرافها خارج حدودها التقليدية، الأمر الذي يؤدى إلى إيجاد وسائل جديدة للاتصال لربط هذه الأطراف بمركز المدينة.

4- تؤدى الزيادة في كثافة السكان إلى ظهور أنماط من التخصص في المدينة في مجالات الحياة الاجتماعية وأنشطتها المختلفة (أبو زيد،1996 :219).

ومن واقع تراث علم الاجتماع فإنَّ معظم الدراسات التي تناولت موضوع الحضرية، والتحضر قد تعرضت لنظرية "لويس وبرت" بالنقد أحيانا وبالقبول أو الرفض أو إدخال بعض التعديلات عليها بما يتلاءم مع المجتمعات المراد دراستها أحيانا أخرى وفيما يلي سنعرض لبعض من هذه الآراء:

1- يرى موريس R. NMORRIS أن "ويرث" لم يقصد الحضرية كأسلوب في الحياة يقتصر على سكان المدينة ، لأنَّ آثار المدينة يمكن أن تمتد إلى ابعد من حدودها الإدارية، و هذا ما نادى به أصحاب الاتجاه المتصل الريفي الحضري ، كما أن سكان المدينة ليسو بالضرورة حضريين لأنَّ جزءا منهم قد يكون مهاجرا إليها و لم يتم له التفاعل بعد في نمط الحياة الحضرية وبذلك فإنَّ الحضرية تعبر عن مجموعة من النظم الاجتماعية والاتجاهات التي تظهر عندما يستقر الناس لمدة طويلة، وفي شكل جماعات كبيرة، تتميز بالكثافة العالية واللاتجانس وان نظرية "ويرث" اقرب إلى النموذج المثالي الذي لا يصلح لدراسة مدينة معينة

بالذات وإنَّما يصلح كإطار للتحليل تقترب منه المدن أو تبتعد حسب ظروفها وخصائصها المميزة لهـــا(النكلاوي، 1976: 52).

2- يرى "بترمان لBETER MANN" أن الحجم عند "وبرت" مؤشر ضعيف للحضرية لأنَّ سكان بلدة صغيرة قد يكونوا أكثر تحضرا في أساليب حياتهم من سكان بلدة أكبر منها على الرغم من أنهما يقعان في منطقة رتبية واحدة، لأنَّ ظهور أســـاليب الحيـــاة الحضرية لا يتوقف على الحجم، ولا يتوقف كذلك على كثافة السكان وإنَّما قد يعتمد على استجابة القرويين للتأثير بمدينة حضرية قريبة منهم(إبراهيم،1986 :31).

3- أوضح "اوسكار لويس" بعد إجراء بحث واقعي كيف أن التحضر من مدينة المكسيك لا يصاحبه بالضرورة انهيار في النظـــام الاجتماعي والأخلاقي. كما أن اغلب الدراسات التي أجرت على المدن السابقة على المرحلة الصناعية. قد أكدت الاعتقاد الذي مداه أن "ويرث" و"ردفيلد" قد بالغا فيما ذهب إليه وان حياة المدينة يمكن أن تكون على درجة عالية من التنظيم(الحسيني ،1985 :211).

4- يؤخذ على نظرية "وبرت" أنَّه استهدف إطلاق تعميمات تنطبق على جميع المدن مع أن استنتاجاته لا تنطبق إلا على المـــدن الصناعية وحدها كذلك فإنَّ وضع نتائجه في ضوء ظروف حياة المدينة في فترة العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، وهـــي فتـــرة اتسمت بمعدلات إنتاجية منخفضة، وانهيار أصحاب المناطق الداخلية في شيكاغو.

5- اعترض "اوسكارلويس" في كتابه "ثقافة الفقر CULTURE OF POVERTY على نظرية "ويرث" وفي رأيه أن المهاجرين من ريف المكسيك إلى مدنه قد احتفظوا بعائلاتهم الممتدة، وتبدو أهميّة العلاقات الأولية للإنسان الحضري مثلما تبدو أهميتـــها للإنسان الريفي.

6- يذكر "وبرت" أن الضبط الرسمي يسود بين سكان المدن، ومع ذلك يلاحظ قلة أهميّة الضبط الرسمي في النسق الحضري وتبدو أهميّة الضبط غير الرسمي و لم يقتنع علماء النفس بالخصائص التي ذكرها "ويرث" للحياة الحرية، وفي رأيهم الحجم والكثافة واللا تجانس هي حقائق ديموغرافية لا تمت بصلة إلى الجانب السيكولوجي.

7- ويؤخذ على "ويرث" أنَّه لم يضع تحت الاعتبار أكثر من الخصائص التي ذكرها وهى الحجم والكثافة واللاتجانس، وأغفل ذكر المراحل الهامة التي تؤثر بها الخصائص الحضرية على الشخصية والاتجاهات.

وتوجد هناك الكثير من الانتقادات والآراء التي وجهت لكل من "ويرث" و "ردفيلد" ونحن هنا ليس بصدد حصرها لكن فقط لتوضيح بعض منها، وما سبق عرضه من هذه الانتقادات هو فقط ليوضح نقطة هامة وهى أن معظم المعايير المعترف بها والتي يقام علـــى أساسها التميز بين المجتمعات الحضرية والمجتمعات الغير حضرية في الغرب لا يمكن تطبيقها على المدن العربية للاختلافات العديدة بين المدن العربية والمدن الغربية، ومنها التخلف الاقتصادي والتكنولوجي والحياة التقليدية وقلة التغاير والتنوع.

ويرى "ويرث" في موضوع آخر حول الحضرية أن الحضرية كنموذج من الحياة يمكن بحثها امبريقيا من ثلاث جوانب هي:

1- المدينة كبناء فيزيقي يضم تكوين السكان والتكنولوجيا والنسق الايكولوجي.

2- كنسق من التنظيم الاجتماعي يضم البناء الاجتماعي والهيئات الاجتماعية ونمط العلاقات الاجتماعية .

3- كمجموعة من الاتجاهات والأفكار تضم أشكالاً من السلوك الجمعي وفي ضوء ذلك يمكن تفسير الحياة. الحضرية من خـــلال ثلاث مفاهيم أساسية:

أ- المفهوم الايكولوجي: يمكن تفسير ظاهرة الحضرية من خلال التعرف على حالة البناء الفيزيقي للمجتمع بالبحث عن الظـــواهر الايكولوجية في تفسير الحضرية

ب- مفهوم التنظيم الاجتماعي: ينظر إلى الحياة الحضرية بأنها "تتميز بانتشار العلاقات الثانوية بين السكان، وضـــعف الـــروابط القُرابية، واختفاء روابط الجيرة، وضعف الأساس التقليدي للتضامن الاجتماعي.

ذلك لأنَّ الحضرية قد أدت إلى ظهور صور جديدة من التنظيم الاجتماعي نتيجة للتحول الذي حدث في الأنشطة الصـــناعية والتربوية والترفيهية، كما أثرت على المكانة الاجتماعية للمرأة، وغيرت الكثير من الظواهر التقليدية المرتبطة بالزواج والنظـــرة للحجـــم الأمثل للأسرة، وتحررت من الروابط القرابية التي كانت سمة من الحياة الريفية، كما انتشرت الوظائف الخاصة بالرعاية الصحية والتعلـــيم والترفيه، وهى التي تميز ظواهر التباين الوظيفي في المجتمع الحضري.

جـــ- المفهوم السيكولوجي: أن الحياة الحضرية تعبر عن نمو وتطور الشخصية الإنسانية التي توجه الأنشطة المختلفـــة في المجتمـــع، فالعمل المنظم يختلف اختلافاً وظيفيا مع مكوناته الشخصية الإنسانية وبذلك فإنَّ الحياة الحضرية ارتبطت بانتشار الظواهر المرضية السلوكية بصورة مباشرة، وكذلك تتأثر الحياة الحضرية بضوابط الجماعة وأساليب الاتصال والتغيرات الاقتصادية والثقافيـــة (إبـــراهيم، 1986 :32-34).

وبالرغم من النقد الذي وجه إلى نظرية "ويرت" فلم تقدم نظريات أخرى في الفكر الغربي أو علم الاجتمـــاع الكلاســـيكى تصورا وإدراكا شاملا لتحليل طبيعة حياة المدينة كما فعلت نظرية "ويرت" كاتجاه في دراسة المدينة.

4- الاتجاه الايكولوجي "البيئي"

لقد ظهرت فكرة تطبيق الاتجاه الايكولوجي ومفاهيمه على العلاقات الإنسانية ودراسة المدينة في أوائـــل القـــرن العشـــرين، وخاصة في دراسة شارلز جالبنGalpin 1915م التي أجراها على أحد المجتمعات المحلية الريفية بهدف أن دلك يعني أنه يوجد في كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية في مناطق طبيعية ، تظهر تلقائياً نتيجة لتوفر ظروف إيكولوجية معينة، وأنه يوجد في كل منطقة من تلـــك المناطق أنواع معينة من النشاط الاقتصادي والاجتماعي والتنظيم السياسي، وخلال العام ذاته (1915م) نشر روبـــرت بـــارك Park مقالاً شهيراً أوضح فيه أن المدينة تعد ظاهرة طبيعية وأنها تنقسم إلى: مناطق صناعية وتجارية وسكنية ويذهب بارك بعد ذلك إلى أن سكان المدينة تتماثلون في تصرفاتهم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ويميلون إلى التجمع في مناطق معينة من المدينة. المميزة لكل منطقـــة تـــؤثر بدورها على حياة قاطنيه(السيد، 1991 :20).

وفى الربع الثاني من القرن العشرين ، اتخذت دراسات الأيكولوجيا اتجاهات مختلفة وأصبحت على درجة من التنوع تمكننـــا مـــن القول بأنها قد أصبحت تشكل بالفعل "مدرسة فكرية متميزة" في سنة 1930ف تأكد التميز بين التفاعل الأيكولوجي بمعنـــاه المحـــدود والتفاعل الاجتماعي بوجه عام. كما أن مجرد وصف الظواهر الإنسانية في ضوء التوزيع المكاني لم يعد كافيا من وجه نظر علم الاجتماع، وبمعنى آخر انه لم يعد كافيا باعتباره موضوعا أيكولوجياً حقيقيا (الحسيني،1985 :125).

وتقوم فكرة هذا الاتجاه على رأى لويس وبرت، أن جوهر الحضرية يتمثل في تركز عدد كبير من السكان في منطقة جغرافيـــة محدودة ويهتم هذا الاتجاه بدراسة تأثير حجم المدينة وكثافتها على التنظيم الاجتماعي.

وكذلك يركز هذا الاتجاه على أن وصف الفرد "بالحضرية" أو "القروية"، يتوقف أساساً على عدد سكان المنطقة التي يعيش فيهـــا، ولعل الفضية الأساسية التي ينهض عليها هذا الاتجاه هي أن عدد سكان المنطقة يلعب دورا أساسيا في تحديد طابع التنظـــيم الاجتمـــاعي السائد فيها، ومن بين العناصر التي يستند إليها التنظيم الاجتماعي، أساليب توزيع القوة، وتنفيذ القرارات، وتنظيم النشاطات التعاونيـــة، ومواجهة الصراعات وأساليب الاتصال والتنشئة الاجتماعية، فضلا عن تحقيق قدر من الإتفاق على الأهداف العامة .(الحسيني، 1985 :115).

ابرز رواد المدرسة الأيكولوجية دنكان وسنور وماكينزي، وهاوليصياغة المركب الأيكولوجي، وعملت اسهاماتهم وتوصلت إلى أن درجة التحضر بالمجتمع تتناسب طرديا مع طبيعة نظام تقسيم العمل بالمجتمع الحضري، يعنى أنه كلما زادت درجة تقســـيم العمـــل الاجتماعي نتيجة زيادة النظام الصناعي، بالمجتمع الحضري ارتفعت درجة الحضرية به، كما أن هذه الدرجة تتناسب طرديا أيضاً مع التطور التكنولوجي السائد وهى نتيجة منطقية تتفق مع نمط النشاط السائد بالمدينة وهو الصناعة في الغالب، حيث يؤدى هذا النشاط إلى استخدام مخرجاته (أي المقتبسات التكنولوجية الحديثة) في زيادة تحضر المجتمع نتيجة استخدامه لموارده المتاحة، بشرية كانـــت أو ماديـــة، أفضـــل استخدام ممكن، ويرتبط بالاتجاهين الجغرافي والايكولوجي اتجاه ثالث في البعد البيئوي Environmental البحث ويعـــد لـــويس ممفورد، من ابرز علماء هذا الاتجاه الذي يذهب إلى أهمية التركيز على البيئة الطبيعية وضرورة تأقلم الإنسان مع عناصرها رغم ما يحـــيط ذلك من صعاب.

وإذا كان "ممفورد" من البيئيين في دراسة التحضر إلا انه لا ينكر إطلاقا أهمية العناصر الأخرى وحيويتها وخاصة مسائل الثقافة والتغير الاجتماعي الذي يصيب المدينة. وهو لم يدرس أحوال المدينة في فراغ وانما كانت الرؤية التاريخية لها، والظروف الحضارية التي أدت إلى نشأة المدينة عموما هي الإطار الرئيسي الذي نبعت منه كل أفكاره (الكردى، 2000 :24،43).

ومن أصحاب الاتجاه الأيكولوجي في دراسة المدينة "ماكنزي" فقد طور مصطلح الأيكولوجيا الحضرية، وأشار علـــى وجـــه الخصوص إلى الفصل Segregation والتخصص specialization واعتبر "جست" و"هاليرت" الأيكولوجيا الحضرية دراسة

لتوزيع الأفراد والتنظيم والعمليات التي تكون أشكال هذا التوزيع، وقدم "والترفيري" بحثا ايكولوجيا عن استغلال الأرض في "بوسطن" ونبه إلى استقرار الطبقة العليا في بعض المناطق في مدينة بوسطن.

ومن أنصار هذا الاتجاه روبرت بارك Robert park فقد حدد العوامل الأيكولوجية التي تؤدى إلى نمو وتدهور المجتمع المحلي. وذكر أن المجتمع الإنساني ينمو في اتجاه دائري، وتعتبر وسائل النقل السبب الجوهري وراء تحديد موقع مراكز المدن وتشكيلها.كما تعد عاملا هاماً لتبادل السلع، كما أنَّ وجود الطرق وخطوط السكك الحديدية تسهل عملية نمو المدن وكذلك تعتبر سرعة وسائل النقل وتكاليفها عوامل هامة في نمو المدن الكبرى حيث تمكن السكان من الحصول على الخدمات المختلفة مما يسهل الحياة في المجتمع الحضري، ومع ظهور الصناعات الهامة تنمو المدن نموا ضخما، فقد أدت صناعة الغزل والنسيج في الولايات الشرقية من الولايات المتحدة وصناعة الحديد والصلب في الولايات الغربية إلى تركيز السكان وأدت صناعة السيارات والبترول في بعض الولايات إلى تضخم عدد السكان وفي جنوب كاليفورنيا أدت صناعة السينما إلى زيادة عدد السكان وقد أشار "روبرت بارك" إلى دور العمليات الايكولوجية في تحديد التركيب الداخل للمجتمع الحضري.

يرى رشوان في كتابه أن نمو المجتمع هو عملية تحويل المجتمع من المجتمع العام إلى المجتمع التخصصي، ويبدأ المجتمع من المركزية، وينهض باللامركزية وينتج عن الغزو السكاني في المجتمعات نوعان من التغير: الأول هو التغير في استخدام الأرض، فقد تتحول منطقة سكنية إلى منطقة عمل، أو تتحول منطقة عمل إلى منطقة صناعية، أمَّا التغير الثانيبثمتل في نوع السكان أي أن التعقد السلالي وتلك التعديلات التي تعترى نموذج استخدام المنطقة مثل التغيرات التي تحدث باستمرار في التعقد السلالي والاقتصادي في منطقة الجيرة أو في نماذج الخدمة في قطاع العمل(رشوان،1987 : 61).

ولذلك يعتبر جوهر الاتجاه الايكولوجي في دراسة المدينة هو دراسة حركة هؤلاء السكان وعلاقتهم بالمكان في البيئة الحضرية من النواحي الفيزيقية والاقتصادية والاجتماعية بحيث يؤدى ذلك كله إلى اتساع المدينة وامتدادها والى النمو الحضري بصفة عامة وقد برز أقطاب الاتجاه الأيكولوجي في دراسة المدينة من بين زعماء مدرسة شيكاغو التقليدية أو من بين المحدثين في هذا الاتجاه (غيث،1983 :105).

ويركز الاتجاه الايكولوجي في دراسة المدينة على أربعة عناصر هي البيئة أي المكان والسكان والتنظيم الاجتماعي والتكنولوجي وترتبط هذه المتغيرات بعضها ببعض حيث أن أي تغيير في إحداها يؤثر على الآخر (أبوعياش وآخرون، 1980 :113).

وأن أهميّة الدراسات الايكولوجية الميدانية، تتمثل في تقديم العون في مجال التغيرات الايكولوجية في المدينة وتكشف اتجاهات الايكولوجيا الحديثة المختصة، كما يمثلها "موريس morris " و "شولو Schulw" و "شور Schor" عن اهتمام لا يقتصر على المناطق المدروسة في حد ذاتها، وإنَّما يضع في اعتباره سكان هذه المناطق، وعلاقاتهم الاجتماعية(حافظ، 1984 :36).

5– القيم الثقافية كمتغير أساسي حتمي

ويرى هذا الاتجاه أن القيم الثقافية يمكن اعتبارها متغيرا جوهريا في دراسة البيئة الحضرية والبناء الاجتماعي الحضري وتؤكد كتابات "ماكس فيبر" هذا الاتجاه فقد اعتبر أن القيم الخاصة بالنظم الاجتماعية و الثقافية متغيرًا مفسراً واعتبر البناء الاجتماعي للمدينة – في الوقت نفسه متغيرًا معتمدًا DEPENDNT وقد أوضحت هذه النظرية كذلك عند "زنانكيZNENIECKY" كما أكد "كولب" KOLB في تطبيقه لاتجاه النمط المتغير "لبارسونز" أن القيم هي المتغير الرئيسي في تفسير الايكولوجيا الحضرية والتنظيم الاجتماعي كذلك قام فيري FIREY ببيان جوهرية القيم كعنصر محدد الايكولوجيا المدينة، وحاول أن يقارن في ضوء البيانات التي حصل عليها في دراسته لمدينة "بوسطن" بين تأثير القيم وبين التأثير الذي ينتج من العوامل الاقتصادية وقد ذهب "ويل هلم" إلى اعتبار أن العوامل الاقتصادية تعد في حد ذاتها قيما ثقافية تؤثر في درجة انسجام الإنسان مع بيئته(النكلاوى، 1976 :57).

ويتخذ أصحاب هذا الاتجاه من القيم الثقافية إطاراً نظريا للتنظيمات الاجتماعية و الايكولوجية للحياة الحضرية، على اعتبار أن اختلافات توجيهات القيم، هي وحدها التي تقسم أو تبرز تلك المفارقات التي تحدها بين المدن التي تنتمي إلى ثقافات متغايرة ومتنوعة(رشوان،1987 :64).

وهناك كثيرا من علماء الاجتماع الذين دعموا هذا الاتجاه بأبحاثهم ودراساتهم، والتي أوضحت نتائج معظمها إلى أي مدى تشكل التوجيهات القيمية دوراً هاماً في تحديد حجم المدينة .

كما أن القيم والمعتقدات والاهتمامات السائدة في المجتمع لها أهمية بالغة في دراسة المجتمعات الحضرية من حيث اتجاهات

السكان نحو المهنة والنشاط الصناعي أو التجاري من نمط معين أو الاهتمام بالغذاء واستيراد السلع المستوردة..الخ، وغالبا ما يواكب نمو المدينة سيطرة الاتجاهات المادية على الاتجاهات الروحية أو الأخلاقية (أبوعباس وآخرون، 1986 :129).

ومن رواد هذا الاتجاه "وليم وايت" فقد ذهب إلى أن القيم الثقافية تعتبر مسئولة عن الحقيقة التي مؤداها أن بعض الناس يفضلون الإقامة في المناطق الحضرية الأمريكية بعد أن يعيشوا فترة من الزمن في الضواحي، وهذا بدوره يؤثر على حجم المدن وكثافتها، وكذلك فون جورتياومVON CRUNEBAUM " فقد كتب مقالا شهيرا أوضح فيه أن المدن الإسلامية التقليدية تتميز على وجه الخصوص بطريقة فريدة في الحياة حيث تؤثر فيها القيم الدينية على نشاطات الحياة الحضرية، وذلك للقيود الدينية التي يراعى أن تتفق مع النشاطات اليومية مثل أداء الصلاة خمسة مرات محددة الوقت، وكذلك صوم رمضان محدد الوقت أيضاً، والذي يترتب عليه من إنجاز بعض الأعمال أو ممارسة بعض النشاطات ليلا وقد تتوقف بعض المشروعات الاقتصادية (الجوهري وآخرون،1983 :56).

أن النظر إلى القيم كمتغيرات مستقلة يؤدى إلى نتائج على البناءات الحضرية الاجتماعية الدينية أو العائلية أو التربوية يمكن أن تؤيد باستمرار البحث في ثقافات مختلفة على المستوى العالمي، إلا أنَّ العلاقة الدقيقة والمحددة التي تربط القيم بالبناء الاجتماعي أو الايكولوجي في المجتمعات المعقدة أو المركبة مسألة تحتاج إلى نظر، ذلك أنَّه في المجتمعات الحضرية الصناعية بوجه خاص يكون من الصعب اكتشاف القيم التي يشترك المجتمع في اعتناقها بالدرجة التي تحدد شكل وطبيعة هذا البناء ولا تستطيع إيضاح هذه العلاقة إلا من خلال المزيد من الدراسات الامبيريقية التي تستند على أسس ثقافية مختلفة (غيث،1983 :60).

وباختصار فإنَّ الانتقادات التي وجهت لهذا الاتجاه تتلخص فيما يلي:

1- صعوبة تقدير العلاقة بين القيم والبناء الايكولوجي للمدينة وخاصة في المجتمعات الحضرية التي على درجة عالية من التركيب.

2- عجز أنصار هذا الاتجاه عن التميز الدقيق بين مفاهيم القيم والأفكار والمعرفة، والمعتقدات و لم يتبيّن استعمال كل منها إذ المعروف أن مفهوم القيم مفهوم تتباين أبعاده من جماعة لأخرى.

3- يؤدى اهتمام هذه المدرسة بالقيم إلى محاولة تبيان أوجه الاختلاف بين المدن من حيث أنماط الثقافات المتعددة بدلا من أن تهتم بمعرفة أوجه التماثل بينها (النكلاوى، 1976 :58).

فالانتقادات وما تنطوي عليه من نقاط واقعية تشهدها المجتمعات الحضرية الصناعية من اختلافات معقدة، تعود لظروف وطبيعة ونشأة كل مجتمع وما يسوده من قيم وأفكار ومعتقدات تتحكم في كل نواحي الحياة الحضرية بهذه المجتمعات.

ومن أهم الدراسات التي اتخذت من القيم الثقافية المسيطرة على الأنساق الاجتماعية والثقافية متغيرات أساسية مستقلة، ومن البناء الاجتماعي متغيرا تابعا ومعتمدا تلك التي قام بها كل من "ماكس فيبر وديانكى وفيري وديكسون وجونز وجوتيوموفيشر" حيث أكدت هذه الدراسات وأخرى غيرها على أن أي تفسير يتجاهل أن القيم لا تستطيع بحال من الأحوال أن تقوم تحليلا كفؤا مقنعا وواقعيا للأنماط الايكولوجية لهذه المراكز الحضرية، وأن القيم بالمعنى الواسع للمصطلح والأفكار والمبادئ والايدولوجيا تعد كلها متغيرات مستقلة لتفسير الأنماط الايكولوجية و الاجتماعية و الحضرية الراهنة والمستقلة أيضاً في نظر "جوير" ولقد أوضح "ماكس فيبر" كيف يلعب النسق القيمي دوراً ملحوظا في الاختلافات بين المدن التي تنتمي إلى ثقافات مختلفة، ومع ذلك فإننا مازلنا في نظر "جويرج" بحاجة إلى المزيد من الدراسات المقارنة، والى تطوير بعض الأساليب والإجراءات التي تمكن في النهاية من تأكيد هذا الارتباط المرغوب بين النسق القيمي والتنظيم الاجتماعي والايكولوجي الحضري (السيد، 1991 :44).

ويرى الحسيني (1985 :71) أن الاتجاه القيمي الثقافي في دراسة التحضر هو انسب المداخل في الدراسات الميدانية التي تتطلب اتجاها مباشرا بأفراد المجتمع ، ويعد في ذات الوقت المادة الأولية اللازمة للدراسات الأخرى.

6- الاتجاه التكنولوجي "التكنولوجيا كمتغير أساسي حتمي"

يمثل الاتجاه الذي يركز على التكنولوجيا كمتغير أساسي مختلف الدراسات والبحوث التي أوضحت دور التكنولوجيا بوجه عام والتطبيع بوجه خاص في تشكيل مختلف نواحي الحياة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة، أي تأكد الأهميّة المطلقة للمتغير التكنولوجي في تشكيل البناء الاجتماعي والايكولوجي الحضري .

ويمثل هذا الاتجاه كثير من علماء الاجتماع من عرّف التكنولوجيا في حدود "أدوات ووسائل اكتشاف الطاقة واستخدامها" ومنهم من حدّد المفهوم في ضوء فكرة "البراعة والمهارة" ومن وراء هذا الإتجاهاوجبرنOGBURAN و "هاولىHAWILE " اللذان حرصا على تأكيد دور وسائل النقل في التأثير على الأنماط الزمانية والمكانية للمدن والمراكز الحضرية (الحسيني، 1985 :216).

وتتضح أهميّة الدور الذي تقوم به التكنولوجيا بصفة عامة، وتكنولوجيا النقل بصفة خاصة، في تشكيل البناء الايكولــوجي و الاجتماعي الحضري في نظر "جويرج" من خلال مقارنة خصائص هذه البناء في المدن الصناعية والمدن السابقة على الصناعة – كما تتضح بالتالي أهميّة هذا الاتجاه النظري في تفسير تفاوت الأنماط السكانية والزمانية الحضرية. بمعنى المقارنة ليس فقط بين مجتمعات صناعية وأخرى لا صناعية، بل بمعنى الكشف عن التأثير المتفاوت للتحضر الصناعي في مراحله المختلفة الراهنة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بالأنمــاط الأوروبية. وكذلك التعرف على تأثير المركب الحضري الصناعي على مناطق الظهير الريفي المجاور للمدن والمراكــز الحضــرية (الســيد، 1991: 442).

والتكنولوجيا تؤدي دوراً هاماً في النمو الحضــري وإعطــاء الحيــاة الاجتماعيــة شــكلا مميــزا، فقــد تصــور ر.ل. مايرR.L.MEIER " المدينة على أنّها أنساق التفاعل. حيث أدت رغبة الإنسان في الاتصال بأقرانه إلى تقدمها، وتؤدى التكنولوجيا ووسائل النقل دوراً هاماً في هذا التفاعل، فهي تقلل من ضرورة التفاعل المباشر – أي تفاعل الوجه للوجه، واعتبر "مــاير" أن وســائل الاتصال هي بؤرة دراسة المدينة، وقد ادعى "ماير" إلى القول بأنّ هيكل وسائل الاتصال هو أفضل الأسس لتقييم المدينة وتنعكس هــذه الثقافة على كل منا شط المدينة فهي تظهر في أماكن العمل، وفي سوق المدينة وفي المؤسسات التعليمية، وفي أماكن الترويح.

واعتبر "فيبر" أن التفاعل الاجتماعي في النسق الحضري المنظم ينتج عن عمليتين مترابطتين هما: التفاعل الإنســاني في مجتمــع متربوليناني معين، وعملية الانتشار التي تتم في أماكن مبعثرة وأطلق على العملية الأولى "المجتمع المحلي المكاني" وعلى العملية الثانية "المجتمع اللامكاني" وأكد أن وسائل النقل والمواصلات والتنظيمات والنظم ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا بفضل وسائل المواصلات واعتبر "فيــبر" المدينة نسقا ميكانيكيا للعمل (أبو زيد، 1996 :228).

فالبناءات الصناعيــــــــــــــــــــــــة الحضرية تتميز ببعض العناصر المشتركة لتقــدم التكنولوجيــا وزيادة التصنيع، وتحرر سكان المدن الصناعية الكبرى من العوز الدائم والنضال المستمر من أجل الاستمرار في الحياة . الأمر الذي تطلــب ضرورة ملائمة النظام التربوي والتعليمي لمقتضيات التطور التكنولوجي، لهذا فإنّ "القفزة الصناعية الحضرية " للدول المتقدمة حدثت بفعل "الثورة التربوية" الموازية ومن أهم معالم هذه الثورة نمو التعليم الفني التخصصي الذي يضمن مواصلة التقدم التكنولوجي والواقع أن نظرة عابرة إلى الجامعات في الدول المتقدمة توضح لنا مدى النمو الكمي والكيفي الذي طرأ على التخصصات المختلفة خلال العقود الثلاثــة الأخيرة لقد أصبح البحث العلمي من الاستثمارات الاقتصادية الأساسية التي يجب أن تهتم بهــا المؤسســات والــدول علــى الســواء، وتطــــــــــــــــــــــــــــــــــــور التكنولوجيا الحديثة جعلها ثورة تكنولوجية دائمــة في الــدول الصناعية المتقدمة (الحسيني،1985 :83).

وتعتبر التكنولوجيا من أكثر المتغيرات أهميّة وحيوية في الأيكولوجيا الحضرية، ويبدو ذلك واضحا إذا ما قارنــا بــين المــدن الصناعية، والمدن السابقة على المرحلة الصناعية إلا أن أوجه النقد الذي يوجه إلى الاتجاه الايكولوجي لمحاولة التعرف على مدى فائدة المتغير التكنولوجي بالنسبة للبناء الاجتماعي الحضري لذا نتخذ بعضا منها في نقاط، ولعل من أهم هذه الانتقادات ما يلي:

1- اقتصار هذا الاتجاه على الدراسة أجريت على المجتمعات المعقدة وخاصة تلك المجتمعات التي ازداد فيها التقــدم التكنولــوجي وأصبحت الآلية سمة من سمات الحياة اليومية، بمعنى آخر أن تعميم التكنولوجيا على المجتمعات الحضرية لا تصــدق إلا علــى المجتمعــات الحضرية الأمريكية التي ترتبط بتوجيه قيمي لا يوجد بالضرورة في مجتمعات صناعية أخرى، ومن ثم اقتصرت تفسيراتهم وتعميماتهم علــى الشواهد الامبيريقية وكانت مجرد تعميمات نظرية بحته، مع عدم وجود الدراسات المختصة التي تهتم بمعالجة هذه المتطلبات الوظيفيــة في مجتمعات صناعية حضرية أخرى مما يمكن المقارنة وتقدير التأثير النسبي والمتفاوت للنمو الصناعي الحضري سواء على المجتمع ككل أو على الأنساق البنائية الأساسية(الحسيني،1985 :217).

2- أن إبراز التكنولوجيا والتركيز عليها، أو بما يفرده من أهميّة مطلقة لمتغير التكنولوجيا سواء من خلال التصنيع أو من خــلال تقدم وسائل النقل في تشكيل الأنماط الاجتماعية و الايكولوجية الحضرية رغم افتقاره إلى شواهد امبريقية من ثقافات مجتمعات أخرى قد عزل أو تجاهل مؤثرات عديدة يمكن أن تحدث أثارا في حياة المدينة من خلال عوامل القوة الايكولوجية و القيم الثقافية من دور في تمثيــل هذه الأنماط التي يتصور أنّها تحدث نتيجة للتغيرات التكنولوجيا لحياة المدينة بوجه عام، بل ما يفوق ما للتغير التكنولوجي من تأثير علــى الأنماط الايكولوجية و الاجتماعية الحضرية (السيد، 1991: 56).

3- إن تعميم النتائج التي استحدثت من الدراسات الحضرية الصناعية يمكن أن تتناقض مع بعضها البعض، خاصة أن بعض أنصار

الاتجاه البنائي الوظيفي قد بالغ في درجة الانسجام القائمة بين الأنساق الاجتماعية، إذ ليس هناك ما يدعونا إلى تأكيد الصراع الذي يقوم حتى في أكثر المراكز الصناعية الحضرية تقدما، وخاصة أي نسق طبيعي يتسم بالمرونة أو توزيع المتعادل للقوة وربما يكون لهذا الاتجاه آثار هامة في نمو النظرية المقارنة لو أن من يتبنون تشجيع الدراسات التي تجرى في المراكز الصناعية الحضرية أو في المجتمعات التي تحمل نفس الطابع، تجنب النظر إلى الأنساق الاجتماعية على أنّها أنساق مغلقة(غيث، 1983: 62).

يتفق الباحث هنا مع هذه الانتقادات التي وجهت للاتجاه التكنولوجي في دراسة المدينة، أو إبراز اثر القوى الناجمة عن التقدم التكنولوجي في تشكيل المدينة وطبعها بطابعها الحضري المميز، أو في تشكيل البناء الايكولوجي والاجتماعي الحضري في المجتمعات الحضرية الحديثة، إلا أن الباحث في نفس الوقت يرى أن ذلك تقليل من اثر التكنولوجيا في الايكولوجيا الحضرية وبيئة المدينة وتنظيمها الاجتماعي ، لأنّ التكنولوجيا تعد من أكثر المتغيرات أهميّة وحيوية، ويبدو ذلك بوضوح في دراسة أثر الأشكال التكنولوجية في إعطاء المدينة نمطا معينا لتحديد الآثار المختلفة للتصنيع والتجارة على البناء الحضري الاجتماعي.

7-اتجاه القوة " السلطة كمتغير أساسي مستقل"

ينظر هذا الاتجاه إلى القوة الاجتماعية كمتغير أولي وأساسيً في تفسير البناءات الاجتماعية والايكولوجية الحضرية، وقد أدخل "وليام فورم" W.FORM هذا الاتجاه حديثا في نطاق الايكولوجيا الحضرية لكي يفسر على أساسه أنماط استغلال الأرض الحضرية، حيث يرى "فورم" أن بناء القوة سواء كان في الماضي أو في الحاضر، وبخاصة القوة السياسية ، قد أدى دوراً كبيراً ومتميزا في تشكيل المدن، سواء كان ذلك على المستوى المحلي أو القومي أو العالمي فهي.أي: القوة- تؤثر في توطن وتوسع المدن كما تؤثر في بناءاتها الايكولوجية والاجتماعية بل تؤثر في تحديد ما تمارسه متغيرات أخرى مثل: التكنولوجيا أو التصنيع من دور في هذا الصدد وترتبط بها تلك القرارات التي تنظم حركة السكان داخل المدن وخارجها أو توطينهم في مجتمعات جديدة، وترتبط بها أيضاً القرارات المرتبطة بالسياسات العامة والتخطيط الاجتماعي و الاقتصادي وتنفيذ برامج التحضر والتصنيع وغير ذلك من الأمثلة التي توضح دور القوة في تشكيل وتحديد البناء الايكولوجي الحضري والبناء الاجتماعي على نحو يصعب معه تفسير هذه البناءات في ضوء متغيرات مثل القيم أو التكنولوجيا وحدها (السيد،1991 395).

والواقع أن هذه الاتجاه يحتاج إلى بلورة وتوضيح ذلك لأنّ "فورم" قد اهتم فقط بما هو سائد في المجتمعات المحلية الصغيرة و لم يستطع أن يوضح مدى فائدة هذا الإطار في تحليل نمو المدن والتنظيم الاجتماعي الحضري بوجه عام(الحسني، 1985 :221).

وتتضح فائدة هذا الاتجاه في دراسة وتحليل نمو المدن والتنظيم الاجتماعي الحضري. وعموما في نقاط سوف نتناول بعضها بالتحليل الموجز فيما يلي(رشوان،1987 :67 ،70).

1- القوة أو المصلحة الخاصة يمكن استخدامها على مستويات مختلفة من التحليل سواء كان ذلك محليا أو قوميا أو عالميا، فقرارات القوة المحلية لها تأثير واضح على ايكولوجية المدينة وبناءها الاجتماعي حيث أن الأفراد يستطيعون تحقيق أهدافهم، إذا كانوا يمتلكون القوة السياسية الضرورية على سبيل المثال، إذا أرادت مجموعة من السكان أو التجار أو المستثمرين تحويل منطقة ما إلى منطقة تجارية أو منطقة سكنية إلى منطقة تجارية فإنّ أغراضهم لا تتحقق إلا إذا كانت لديهم القوة التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم وتتغلب على أي صعوبة أو مقاومة.

2- أن بناء المدينة الايكولوجية تتأثر بدرجة كبيرة لمجموعة القرارات التي تتخذها مراكز القوة على المستوى القومي، والأمثلة الواقعية العديدة تشير إلى أن الظاهرة تحدث في الولايات المحلية كغيرها من المجتمعات الأخرى.

ففي مدن جنوب أفريقيا تعددت الأنماط الايكولوجية المحلية نتيجة القرارات التي أصدرتها الحكومة لتحد من حركة السكان الوطنيين داخل المدن وخارجها وفي جنوب أفريقيا يتبيّن ذلك بوضوح حيث يتضح اثر تصارع القوى المحلية على أنماط التوزيع المساحي الداخلي في المدن ويبعد المواطنين بفعل القانون عن المراكز الحضرية ويجبرون على الحياة في وحدات تقام لهم على أطراف المدينة .

3- لا تؤثر عوامل القوة داخل الدولة على البناء الايكولوجي الداخلي للمدينة فقط، بل تؤثر أيضاً على نموها وتشير الدلائل التاريخية إلى أن قيام وانهيار كثير من المدن كان مرتبطا إلى حد بعيد بقيام الإمبراطوريات، كما يرجع وجود كثير من المدن إلى التخطيط الاجتماعي الموجه الذي تضعه الحكومة، ويتضح ذلك في الاتحاد السوفيتي "سابقا"، وحققت القيادة الاشتراكية التحضر الصناعي بأسلوب التنظيم المخطط الموجه وباستخدام نظام المزارع الجماعية واستعمال الآلة في الزراعة الأمر الذي أدى إلى هجرة أعدد كبيرة من الفلاحين

الذين لم تعد المزارع في حاجة إليهم إلى المراكز الحضرية ودخلوا ضمن قوة العمل الحضرية .

4- وعلى المستوى القومي أيضاً، فإنَّ قرارات القوة التي تصدر ويكون لها آثار واضحة على البناء الاجتماعي للمجتمعات المحلية الحضرية، وقد يكون حكم المحكمة في الولايات المتحدة الخاص بالتفرقة العنصرية في المدارس العامة مثالا على ذلك ، فمن الواضح أن مثل هذا الحكم جدير بأنَّ يعدل من البناء الاجتماعي لكثير من المدن، وفي الاتحاد السوفييتي "سابقا" أيضاً عمدت التنظيمات الحكومية إلى إجراء بعض التعديلات، في بعض وجوه الحياة الاجتماعية مثل الأسرة والدين والتعليم والاقتصاد(الحسيني،1985 :224،220).

تحليل نظري للاتجاهات :

تعد دراسة الاتجاهات النظرية من الدراسات التي حاولت تقديم تحليل لظاهرة المدينة والاشارة للمفاهيم النظرية الكفيلة بتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتشكيل الحياة الحضرية، حيث نستطيع القول أن جميع هذه الاتجاهات استطاعت أن تعطي رؤية عن الحياة الحضرية والنمو الحضري ولكنها رؤية ناقصة وغير متكاملة ولا تستطيع أن تقدم الحلول الناجحة في حالة ماتكون كل منها على حدة، ولكن لتحقيق الهدف الأسمى من الاتجاهات النظرية- وهو التفسير التام للحياة الحضرية بالمدينة على أن تجتمع هذه الاتجاهات المتباينة في تحليل التنضيمات الحضرية بشكل تكاملي، ولأن بعض هذه الاتجاهات كانت حلولها المقترحة لا تزيد عن كونها علاج لما يترتب على مشكلات التحضر من نتائج ، ولكن التحليل الموضوعي والدقيق هو ذلك التحليل الذي ينفذ إلى الاسباب والعوامل الحقيقية للمشكلة في محاولة لمعالجة تكاملية للظروف المؤدية اليها، وليس ما ينتج عنها من ظواهر اجتماعية سلبية .

ولتوضيح الاتجاهات النظرية السابقة كما يرى "جوبرج" بانها اتجاهات نظرية أساسية يعتقد أنَّها متغيرات ذات قيمة بالغة في تفسير الأنماط الأساسية للحياة الحضرية. فالمدينة كمتغير أساسي، والتكنولوجيا، والقيم الثقافية، والقوة أو السلطة، لخصها "جوبرج" إلى عدد من النتائج الهامة فيما يتعلق بدعوته إلى تطوير علم الاجتماع الحضري والمقارن، إذ ذهب إلى:

1- أن كل من المدينة و التكنولوجيا والقيم الثقافية و القوة تعتبر متغيرات "مستقلة" تفيد في تفسير مظاهر معينة من البناء الاجتماعي أو الايكولوجيا الحضرية، لذلك فإنَّه لا بد من توضيح الدعائم التي يستند إليها للتفسير في ضوء أحد هذه المتغيرات الأربعة كل على حدة.

2- أن واحدا من هذه المتغيرات الأربعة لا يكفى وحده لأنَّ يقدم تفسيرا لنماذج البناء الاجتماعي و الايكولوجي الحضري وأنَّه لا بد وأن نضع في الاعتبار ما بين هذه المتغيرات السابقة من علاقات رغم ما يبدو بينها من اختلافات واضحة.

3- تأكيد الإستفادة من الأطر النظرية لكل اتجاه من الاتجاهات النظرية إفادة أكبر في التفكير والتحليل، ولذلك بذل علماء الاجتماع الحضري اهتماما أكبر لاستيعاب النظرية السوسيولوجية العامة بدلا من الاقتصار على جمع البيانات الامبيريقية والاهتمام بالجزيئات دون محاولة الارتفاع إلى مستوى من التحليل أكثر تجريدا.

4- من العلاقات بين المتغيرات يجب أن نخضع للبحث، لأنَّهُ من المحتمل ألا نستطيع فهم النسق الاجتماعي الحضري دون أن ندخل في اعتبارنا كل هذه المتغيرات وفي هذا الصدد قد نشأت مشاكل عديدة، لأنَّ هذه المتغيرات لا تنتمي إلى نفس التجريد أو التحليل، ومثال ذلك أن متغير التكنولوجيا والمدينة يختلفان في نواحي أساسية عن متغيري القيم الثقافية والقوة .

لقد اتضحت محاولات "حوبرج" في توضيح مدى أهميّة الاتجاهات النظرية في مجال دراسة الحياة الحضرية من تطور شمولي متكامل، حيث أن الأساس الذي استبدله "جوبرج" للتميز بين هذه الاتجاهات، يتمثل في "المتغير" الذي ينفرد بأولوية شبه مطلقة في كل منها لتغيير الأنماط الأساسية للحياة الحضرية. حيث تم إيضاح أهم أربعة متغيرات تميزت على مستوى النظرية والبحث كانت متغيرات "المدينة" والقيم الثقافية و التكنولوجيا و القوة.

كما نتفق مع ما توصل إليه "جوبرج" في حقيقة أن واحدا من هذه التغيرات لا يكفى وحده لأنَّ يقدم تفسيرا مقنعا لنماذج البناء الاجتماعي و البيئة الحضرية، وأنَّه من الضروري أن يضع الباحثون في مجال دراسة المدينة في اعتبارهم أن هناك علاقات ما بين هذه المتغيرات ، رغم ما يوجد بينها من اختلافات واضحة.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم ، برواية قالون عن نافع.
2. إبراهيم، محمد عباس،(1986م)،التصنيع والمدن الجديدة، دار المعرفة الجامعية..
3. أبو زيد، أحمد، (1987م)،البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الثاني، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث.
4. أبو زيد' منصور أحمد، (1996م)،الايكولوجيا الحضرية وعلاقتها بالمتغيرات الاجتماعية في المدينة، دراسة سوسيولوجية لمنطقة حضرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
5. أبوعياش، عبد الإله، ،وإسحاق القطب،(1980م)، الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، الكيت، وكالة المطبوعات.
6. بدوي، أحمد زكي ،(1982م)،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان.
7. بدوي، السيد محمد،(1980م)،علم الاجتماع والنظم الاقتصادية، القاهرة، دار المعارف.
8. الجوهري، محمد، عليا شكري، 1983م)،علم الاجتماع الريفي والحضري، القاهرة، دار المعارف، ط2.
9. حتيوش، عمران سالم،(1994م)،النمو السكاني والتوسع الحضري:"حالة العالم والجماهيرية "، سعد القزيري، التحضر والتخطيط الحضري، بنغازي، منشورات مكتب العمارة للاستشارات الهندسية.
10. الحسيني، السيد، (1985م)،نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار النهضة العربية، بيروت.
11. الحسيني، السيد،(1985م)،المدينةدراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعارف، ط3،.
12. خليفة، إبراهيم، (1983م)،علم اجتماع المدينة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
13. الخليفة، عبد الله، (1991م)،اثر العوامل الاجتماعية في توزيع السكان على أحياء مدينة الرياض، دراسة ميدانية، مركز مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية السعودية.
14. دسوقي، كمال،(1977م)،الاجتماع ودراسة المجتمع، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية..
15. رشوان، حسين عبد الحميد،(1985م)،المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط2.
16. رشوان، حسين،(1987م)، دور المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في التنمية الحضرية، دراسة ميدانية بمدينة كفر الدوار،رسالة دكتوراه، منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا،.
17. الرميحي، منيرة سعيد راشد، (1994م)،انعكاسات النمو الحضري على ساكني الأحياء القديمة، دراسة اجتماعية ميدانية لمدينة الدوحة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
18. الزوي،لوجلي صالح،(2002م) ، علم الاجتماع الحضري، بنغازي، دار الكتب الوطنية.

19. السيد، عبد العاطي السيد، (1981م)،الايكولوجيا الاجتماعية، مدخل لدراسة الإنسان والبيئة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية.

20. السيد، عبد العاطي السيد، (1992م)،الإنسان والبيئة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

21. السيد، عبد العاطي السيد،(1975م)،التصنيع وتغير البناء الايكولوجي للمجتمع، دراسة اجتماعية مقارنة لخصائص أطـــراف مدينـــة الإسكندرية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية،.

22. السيد، عبد العاطي السيد،(1991م)،علم الاجتماع الحضري، مداخل نظرية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية..

23. السيد، غريب محمد، السيد عبد العاطي،(1988 م)، علم الاجتماع الريفي والحضري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

24. شوقي، عبد المنعم،(1981م)،مجتمع المدينة الاجتماع الحضري، بيروث، دار النهضة العربية، ط7.

25. الصفار، فادية عمر الصفار،(1984م)،علم الاجتماع الحضري، عالم الكتاب للنشر والتوزيع، الرياض.

26. الصفار، فؤاد، 1981م،دراسات في الجغرافيا البشرية، الكويت، مطبعة وكالة المطبوعات، ط4.

27. غنيم، محمد أحمد، المدينة،(1990م)،دراسة في الانتروبولوجيا الحضرية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

28. غيث، محمد عاطف، (1983م)،علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، بيروت، دار النهضة العربية.

29. غيث، محمد عاطف، غريب السيد احمد،(1989م،علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية.

30. الكردي، محمود، التحضر ،(2000م)،الكتاب الأول، دراسة اجتماعية القضايا والمناهج..

31. المهدوي، محمد المبروك،(1990م)،جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي..

32. ناصف، سعيد أمين(2013م)، علم الاجتماع الحضري، المفاهيم- القضايا- المشكلات، الاسكندرية،دار المعرفة الجامعية.

33. النكلاوي، أحمد،(1976م)،دراسة المدينة مدخل نقدي، دار النهضة العربية.

34. والي، عبد الهادي محمد،(1983م)،علم الاجتماع الحضري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.